الموضوع السادس

حديث فضل القرآن

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن واقرءوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكًا يفوح ريحه فى كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو فى جوفه كمثل جراب أوكى على مسك» .

[رواه الترمذى فى ثواب القرآن]

(إن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جراب محشو مسك يفوح ريحه فى كل مكان، ومن تعلمه فيرقد أى ينام وهو فى جوفه فمثله كمثل جراب) أى: فيه المسك، ولكن أغلق عليه المسك، فلا تفوح رائحته بالصورة الطيبة، أى أنه منع زكاء الريح، ومنع زكاء الرائحة عن الناس، (ومن تعلمه فيرقد وهو فى جوفه فمثله كمثل جراب أُوكى على مسك) أى: أغلق على المسك، فإن النوع الأول يفوح منه المسك، ويفوح منه العطر، فى كل مكان هذا .. مثل القرآن الكريم لمن تعلمه وقرأه، واستمتع به، وتمتع به، ونوره الله تعالى به.

«تعلموا القرآن واقرءوه » تَعلم وقَرأ أى: تَعلّم وحَفَّظَ غيره، ليس عنده أنانية، وإنما يحفظ ويُحفّظ غيره النور الذى أعطاه الله تعالى إياه، فتعلموا القرآن واقرءوه، وعطروا به مجالسكم، وعطروا به ألسنتكم، ونوروا به وجوهكم .

هيا بنا نذهب إلى هدى سيدنا محمد (صلى الله عليه وعلى آله و صحبه) فى حديثه عن فضل القرآن، وما أدراك ما فضل القرآن الكريم!

إن دراسة القرآن الكريم ليست صيفية بل طوال السنة، وإن الواحد فيكم إذا أحب كتاب الله ﷻ لابد أن يكون حبه لكتاب الله جل فى علاه هو حياته كلها، وهو كل ما فى حياته، وسأذكر لكم مثالاً على أن القرآن الكريم يرفع الله تعالى به أقوامًا، ويضع به آخرين، إن المشايخ الذين نستمع إلى قراءتهم، ومنهم على سبيل المثال: الشيخ محمد رفعت، والشيخ محمود خليل الحصرى، وقد سجل القرآن الكريم بكل القراءات، وهؤلاء الناس كانوا فى بداية حياتهم بسطاء جدًا، وحتى فى نهاية حياتهم كانوا فقراء وهذا ليس عيبًا، فالقرآن الكريم الذى فى صدر كل واحد منهم يساوى الدنيا كلها، فلا يهمه ماذا يأكل، ولا أين ينام، وعلى ماذا، فالله ﷻ يحفظ أولاده وهو موقن من: (احفظ الله يحفظك)، فهؤلاء القراء الكبار فى العالم الإسلامى، والعالم العربى معروفون، فعندما تسمع الشيخ محمد رفعت مثلا تشعر أنه يقرأ قراءة ملائكية كأنه يُحلق بك فى الملأ الأعلى .

هذا الرجل الذى عاش فى القرن الماضى منذ عشرات السنين قبل ظهور التليفزيون، ورغم هذا فإن الناس يستمعون إليه الآن، ويعرفونه الآن، ويحبونه الآن، كم عاش مع الشيخ محمد رفعت أو الشيخ الحصرى من زعماء ومن قادة ومن وزراء، ولكن الله تعالى أبقى ذكره دونهم وسيبقى ذكره بفضل كتاب الله .

صدقت وبالحق نطقت يا حبيب الله (صلى الله عليك وسلم) حين قلت: «إن الله تعالى يرفع بهذا القرآن أقوامًا» أى الناس تقول لك فلان صوته جميل، عندما يدخل الجامع يقدم على من عداه رفعه الله تعالى بالقرآن، أكرمه الله تعالى بالقرآن، يجلس معه القوم؛ لأنه من أهل القرآن، فالقرآن الكريم رفعة لكم؛ ولذا قال جل جلاله فى سورة الزخرف لرسوله الحبيب ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [٤٤] أى وإن هذا القرآن لَشرفٌ لك

ولقومك من قريش؛ حيث أُنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغى أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه، وسوف تُسألون أنت ومَن معك عن الشكر لله عليه والعمل به. وإنه ماذا! لذكر لك ولقومك؛ وإنه لشرف لكم أيها العرب أن تنطقوا بلغة القرآن. لكل العرب شرف أن تكون لغتهم هى اللغة الشريفة التى نطق بها سيدنا محمد (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ أى شرف لك، وشرف لأمتك، وشرف لعروبتك، وشرف لمن ينطقون بالعربية، فإن القرآن الكريم بالنسبة لك أيها المسلم ليس هناك إشكالية فى قراءته لو لم تكن عربيًا وكانت عجمة بينك وبين القرآن الكريم، هل كان نوره سيصل إليك لو أنك فرنسى أو إنجليزى أو أمريكى واللغة العربية هى بالنسبة لك الثانية أو الثالثة فى ترتيب الأهمية، وأمسكت بكتاب الله تعالى حتى لو كانت المعانى مترجمة هل تصل إليك هذه المعانى التى أقرأها الآن ؟ مستحيل، إذن هو ذكر، شرف، رفعة لى أن أتكلم وأن أنطق بنفس اللغة التى تَنزّل بها القرآن، فما الذى حال بينك وبينه؟ ما الذى يمنعك عنه؟

كما فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٤] .

وما منع الكفارَ من الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما، حين جاءهم البيان الكافى من عند الله، إلا قولهم جهلاً وإنكارًا: أبعث الله رسولاً من جنس البشر؟

إن الله تعالى يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين، كأنى على موعد معك يا حبيب الله بأبى أنت وأمى، وأنت تتحدث عن القرآن الكريم، وعن فضل حفظ القرآن، وعن فضل تلاوة القرآن، وعن الأثر الذى يتركه القرآن فى المكان وفى الزمان وفى قلب الإنسان، وعلى أن الذى يحفظ القرآن ويتلوه فإن

بيته بيت عامر بالخيرات يأتيه الزوار والضيوف من كل مكان، وهناك فرق بينه وبين بيت خرب وخراب هاجر مهجور لا يدخل إليه النور، وتعيش فيه العناكب والحشرات والهوام، هذا هو الفرق بين قلب قرآنى استنار بالله تعالى، وقلب غير قرآنى لم يستنر بالله، وإنما تعلق بالدنيا، ولم ينشغل بكتاب الله تعالى، ولا بنور كتاب الله تعالى، وهذا هو أبو هريرة الذى تكلم عن فضل القرآن الكريم فى حديث رواه الإمام الترمذى واللفظ له .

(ولقد ذكرنا ذات مرة أن أحد الصالحين، وكان له موسوعات، وله علم واسع غزير بعدما مات جاء فى الرؤيا إلى أحد أحبابه أو تلاميذه أو أقربائه فقال له تلميذه: ماذا فعل الله تعالى بك؟ فقال له: والله ما نفعنى أى ما بقى فى صحيفة حسناتى إلا هؤلاء الصبيان الصغار كنت أعلمهم سورة الفاتحة).

إذًا علم أولادك سورة، هذا هو الأبقى لك عند الله جل فى علاه، فإن هذا الرجل عالم كبير وله علم، وله حضور علمى كبير معروف فلما مات سئل: ماذا فعلت؟ وماذا فعل الله بك؟ فقال: والله كل هذا ذهب لم يبق إلا سورة الفاتحة إن الله تعالى غفر لى؛ لأننى كنت أعلم الصبيان سورة الفاتحة، وهذا أمر ليس صعبًا عليكم، هذا معنى: تعلموا القرآن واقرءوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جراب محشو مسكًا يفوح ريحه فى كل مكان. هذا هو القرآن الكريم.

للأسف كثير من الناس يستهزئون بهذا القرآن العظيم، عندما يدخل أحد منهم بيته ووجد امرأته جالسة تصلى الضحى أو تقرأ فى المصحف يقول لها: "يا ست الشيخة ماذا عملت لنا بقراءتك يا شيخة؟ إلى ماذا وصلت يا ست الشيخة؟" ويبدأ فى الاستهزاء بها؛ لأنها تحب القرآن الكريم .

و أنا أذكر ذات مرة أن امرأة اتصلت بى وقالت لى: إن زوجى كلما دخل ووجدنى أصلى فإنه يمسك برأسى ويضربنى فى الأرض حتى يسيل الدم من رأسى، إنه يعاقبها رغم كونه مسلمًا واسمه قريب من اسم سيدنا رسول الله ﷺ، ورغم هذا لا يحب أن يراها تصلى يقول لها: لا أريد أن أراك تصلى، إما من

حيث إنه يشعر بالعجز وبالتقصير عندما يراها؛ أو لأنه يعيش فى نفق أسود، فى نفق مظلم، ولا يريد أن يرى هذا النور الذى ينبعث من وجهها .

«مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جراب محشو مسكًا يفوح ريحه من كل مكان».

وهناك شخص يتصل بزوجته وهو مسافر فى بلد كالسعودية أو أمريكا، ويقول لها: أولادنا اليوم ماذا حفظوا من كتاب الله؟ هل صلوا الفجر؟ هل جلسوا وشاهدوا صباح الإيمان أو كذا؟ هكذا لابد من متابعة إيمانية. أنا لا أفرح بأننى أنزل إلى صلاة الجمعة وأخطب بالناس، وإنما أفرح عندما ينزل أولادى وزوجتى معى لأداء صلاة الجمعة، هذا هو الجمال، لا أفرح أننى أصلى الفجر والعمارة كلها نائمة، لا، وإنما أفرح عندما أُوقظهم، وعندما أُوقظ قلوبهم لصلاة الفجر، لا أفرح أنى أحفظ القرآن، وأن الحي الذى أعيش فيه أو أن القرية التى أنتمى إليها أو أن العزبة أو المكان الذى أحبه ليس فيه من يحفظ القرآن الكريم غيرى، هذه مصيبة، وأين المسك الذى علمك الله؟ وهل هذا المسك لك أنت وحدك؟ لا، ليس لك وحدك، لابد أن يفوح منك المسك، وكيف يفوح؟ ورتل كما فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢] وقال الذين كفروا: لولا أنزل القرآن على محمد ﷺ جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور! قال الله ﷻ: كذلك أنزلناه مفرقًا؛ لنقوِّى به قلبك، وتزداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله، وبيَّنَّاه فى تثبت ومُهلَة.

كما فى قول الله تعالى: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] أى: أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين، واقرأ القرآن بتُؤَدَة وتمهُّلٍ مبيِّنًا الحروف والوقوف.

«تعلموا القرآن واقرءوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه فيرقد وهو فى جوفه » (أى لا يخرج منه شىء).

«فيرقد وهو فى جوفه فمثله كمثل جراب أُوكِي» (الألف عليها ضمة البناء للمجهول وبعدها واو مضمومة والكاف مكسورة) «على مسك» (بضم الهمزة وكسر الكاف) أى "أُوكيَ على مسكٍ" أى أن المسك موجود فيه لكنه لا يفوح منه؛ لأنه مغلق؛ لأنه لم ينتفع به؛ لأنه لم يستفد به.

كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٤].

ما دمت حفظت القرآن، وتعلمت القرآن فأين وردك اليومى من القرآن؟

وقال الفضيل بن عياض ﷺ: ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون إلى أحد فى حاجة، ولا إلى الخلفاء فمن دونهم، فينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه، وقال – أيضًا – حامل القرآن حامل راية الإسلام، فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيمًا لحق القرآن.

وقال سفيان الثورى: إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه.

وقال عمرو بن ميمون: من نشر مصحفًا حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله ﷻ مثل عمل جميع أهل الدنيا، ويُروى أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: اقرأ عليَّ القرآن فقرأ عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ الآية. [النحل: ٩٠] فقال له: أعد فأعاد فقال: والله إن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمورق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر، وقال الحسن: والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة.

وقال الفضيل: من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء، ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء، وقال القاسم بن عبد الرحمن: قلت لبعض النساك: ما ههنا نستأنس به

فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال: هذا، وقال على بن أبى طالب ﷺ: ثلاثة يزدن فى الحفظ ويذهبن الهم، السواك، والصيام، وقراءة القرآن .

وفى فضل المحافظة على الورد القرآنى نذكر أحوال الصحابة الكرام رضى الله عنهم: قال عمر بن الخطاب ﷺ: قال ﷺ «من نام عن حزبه أو عن شىء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

الآثار: روى أن عمر ﷺ كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض.

وكان ابن مسعود ﷺ إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ويقال: إن سفيان الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال: إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح.

وكان طاووس – رحمه الله – إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحية على المقلاة ثم يثب ويصلى إلى الصباح، ثم يقول: طير ذكر جهنم نوم العابدين.

وقال الحسن – رحمه الله –: ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل، ونفقة هذا المال فقيل له: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره، وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراشا فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدًا.

وكان عبد العزيز بن روّاد إذا جن عليه الليل يأتى فراشه فيمدّ يده عليه ويقول: إنك للين ووالله إن فى الجنة لألين منك، ولا يزال يصلى الليل كله.

وقال الفضيل: إنى لأستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فأفتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتى.

وقال الحسن: إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل.

وقال الفضيل: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك.

وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلى الليل كله، فإذا كان فى السحر قال: إلهى ليس مثلى يطلب الجنة، ولكن أجرنى برحمتك من النار.

وقال رجل لأحد الحكماء: إنى لأضعف من قيام الليل، فقال له: يا أخى لا تَعْصِ الله تعالى ولا تقم بالليل.

وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة! فقالوا: أصبحنا؟ أطلع الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم، فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاى بعتنى من قوم لا يصلون إلا المكتوبة؟ ردنى. فردها.

وقال الربيع: بت فى منزل الشافعى ﷺ ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا.

وقال أبو الجويرية: لقد صحبت أبا حنيفة ﷺ ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض، وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل فمرَّ بقوم فقالوا: إن هذا يحيى الليل كله فقال: إنى أستحى أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله، ويروى أنه ما كان له فراش بالليل.

ويقال: إن مالك بن دينار ﷺ بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية. وقال المغيرة بن حسيب: رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول: حرم شيبة مالك على النار إلهى، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك؟ وأى الدارين دار مالك؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر.

يا من له جلال لا يوصف، يا من له نور لا يطفأ، يا من له نعم لا تعد، يا من له ملك لا يزول، يا من له ثناء لا يحصى، يا من له كمال لا يدرك، يا من له قضاء لا يرد، يا من له صفات لا تبدل، يا من له نعوت لا تغير.

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية، وصدق النية، وأكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهر بطوننا من الحرام والشبهة واكفف أيدينا عن الظلم والسرقة، واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة، وأبعد أسماعنا عن اللغو والغيبة، وامنن على شبابنا بالإنابة والتوبة، وعلى نسائنا بالحياء والعفة، وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة، وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة، وعلى الفقراء بالصبر والقناعة بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.